

المجلد: 09/ العدد 01/ جوان (2025)، ص.ص. 95-103.

الترويج السياحي للمدينة في الرواية الجزائرية المهاجرة "قسنطينة في ذاكرة الجسد لأحلام مستغاني". **Tourist Promotions of the City in the Novel of Algerian Immigration, Constantine in the Novel of "Memories in the Flesh" by Ahlem Mostaghanemi**

سلاف سعودي

Soulaf.saoudi@univ-msila.dz

جامعة محمد بوضياف-المسيلة-

(الجزائر)

تاريخ النشر: 2025/06/02

تاريخ القبول: 2025/03/11

تاريخ الاستلام: 2025/01/02

ملخص:

احتفت واحتقت الرواية العربية بالمدينة، أفاضت في وصفها، انتشت بتاريخها، انتشلت أحوالها، فكان السرد في كل مرة يكتشفها ويكشفها، ويكون للمدينة وجه آخر، حين تربطها علاقة وُد أو ضد مع السارد، فإن كانت الأولى لا يتردد في إبراز بعض مفاتها الطبيعية والحضارية والثقافية، وقد يذمها في أحيان أخرى سعيًا منه للتغيير. فالتسلل والتسرب السياحي جليٌّ في رواية "ذاكرة الجسد" لأحلام مستغاني، سنحاول على امتداد ورقتنا البحثية هذه اجلاء صور وآليات سردية سياحية اتبعتها الكاتبة للترويج لمدينتها قسنطينة وفي "ذاكرة الجسد" تحديدًا.

الكلمات المفتاحية: قسنطينة، تذويت السرد، التسويق السرد، التاريخ، الدليل السياحي.

Abstract:

The Arab novel has celebrated and was encumbered with the city and has described it widely, was fed by its history and has torn off its debris. The novel never ceases to discover and reveal it. Indeed, the city shows a different face depending on the relationship binding it to the narrator who when this relationship is emotional, he does not hesitate to highlight some of its natural, civilizational and cultural charms while he criticizes it aiming for change when the relationship that binds them is dual.

The tourist enetration and infiltration are clear in the novel of "Memory in the Flesh" by Ahlam Mostaghanemi, so we try through our research to show the figures and tourist narrative mechanisms that the author used to promote her city "Constantine" and more particularly in "Memory in the Flesh".

Keywords: Constantine . internalization of the story . narrative marketing . history . the tourist guide ..

مقدمة:

افتك السرد مساحة أدبية مهمة، وبُعيد هذه المفازة، بات يطور في مكوناته النصية والبنائية؛ غير أن السرد الروائي صنع الاستثناء بتنويعاته وتفرعاته التي تلتقط جزئيات من الواقع وتعيد تشكيلها فنيا، توجيهها وتأطيرها بنائيا، تركيبها تخياليا، ليتداخل ويتدافع الواقعي بالمتخيل في فسيفساء سردية. انهمرت في الرواية كل صنوف وضروب الحياة، استحضرت التاريخ، حاكّت الحاضر استنطقت الإنسان، باستنكاهاها باطنه، أخرجت بوحه بوسيلة شخصيات تسير السرد زمنيا وتضبطه مكانيا، وتؤقلمه بسيرورة حوادثها.

من أهم بناءات الرواية المكان / الفضاء / الحيز، الذي يحوي مجعبته اتجاهات السرد وتقاطعاته، يصنع الحدث، يرفعه إلى الذروة، وقد يرجع به إلى نقطة اللابداية، يطبع المكان الشخصيات بتشخيصاته وعلاماته، وخصوصية المكان تستغز اللغة صعودا ونزولا، يرتب الزمن استبقا واسترجعا، يسطط الوصف ويضخمه، يكون إشارة دالة على بعد وظيفي في الرواية ويكشف انتقاء المكان أحيين كثيرة عن علائق ذاتية بين الراوي وهذا الاختيار المقصود المدروس.

حضرت الأمكنة العربية بصور متفاوتة، تنوعت بين الأفضية المفتوحة وأخرى مغلقة تبعا للحدث وبنية الشخصية، ومدلول الزمن؛ إلا أن الحضور المدني كان ومازال لافتا طاغيا مريكا مفجعا، فالاحتفاء بالمدينة العربية سردا وافق بعض الواقع وربما زاد عليه إلى حد الإفراط، من القاهرة إلى بيروت وغيرها؛ اشتركت هذه المدن العربية وغيرها في صورة السواد والندس الروائي، فلا لغة تعلو عن لغة الخراب والضياغ والعنف فالموت، أضحت صورتها محل تشويه سردي مستمر للانتقام من أسرها، هجرها، قيودها، وحتى إنسانها.

وحدها الرواية وتقنياتها منفذ الكاتب وسلمه لمواجهة المدينة العربية وفضح زيفها، ففي الروايات العربية المعاصرة تنجلي هذه الصورة القبيحة لها، قد يكون في ذلك صدق وصفي وصوري وهذا لا ينفي وجود روابط مشوهة وخلفية ذاتية بين صاحب السرد وهذه المدينة، لكن من بين ركام هذه المدن ومأساوية تصويرها، تنهض ونادرا روايات لم تنهل بالسوط السرد العنيف على مدنها وأبقت لها خيط ود وحبل سري يربطها بها، وإن كشفت مرها استظهرت مفاتها حبا وولعا بها هذا ما فعلته أحلام بقسنطينة أو ما فعلت قسنطينة بأحلام في " ذاكرة الجسد " حين انتقها من بين أمكنتها السردية، فقدمتها للقارئ الذي يعرفها والذي لا يعرفها، عبر مجموعة من الآليات الفنية التي روجت لعاصمة الشرق خارج الجزائر، وفي هذا جاز لنا القول أن رواية " ذاكرة الجسد " كانت بمثابة بطاقة فنية سياحية.

على إثر ذلك عنونا ورقتنا البحثية هذه " الترويج السياحي للمدينة في الرواية العربية " قسنطينة في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغاني"، وكان لزاما علينا أن نحاول الإجابة عن بعض الأسئلة، التي سيكون المرور عليها محاور رئيسة في مقالنا هذا.

- ما علل السرد المفجع للمدينة العربية؟.
- كيف يمكن للمدينة مكان تفجير السرد؟.
- ما أهم الآليات التي اعتمدها " مستغاني " لتقدم قسنطينة سياحيا؟ وهل في ذلك تذويت للكتابة الروائية؟.
- هل أخفقت " أحلام مستغاني " في وضع حد بين " قسنطينة " مكان شخصي و "قسنطينة " مكان سردي؟.
- أيمن عد " ذاكرة الجسد " رواية سياحية؟.

1- المكان " المدينة " الفجاعة والنجاعة السردية في الرواية العربية.

يتصدر القبح المدني الواحمة في عداد أمكنة السرد، نعتت بعض الروايات العربية مدينتها بأبشع الصفات، رمت في جوفها أفصح وأفزع الحوادث، تفنتت في كاريكاتورية شخصياتها هيجت من سرد المكان، الذي هو " عامل من عوامل بناء الشخصية وتشكيلها بوصفه وسيلة للتعرف على العالم "¹ فهو الناطق الرسمي عنها سردا، يتلاعب

بحجمها تصغيرا فتحقيرا، أو تكبيرا وسموا، يُدقق الحدث داخله، ويدلي باللغة الأنسب له، فالمكان الروائي يقدم لنا سجلا عنه يحوي جغرافيته وعمقه الاجتماعي، الثقافي والإنساني.

ولأن الأدب في عموميه يمثل حضارة أمة، يعلن تاريخها، يبرز ثقافتها، يُعد مرجعية محممة لمن أراد التعرف على تفرد أو تمايز أمة ما، فأي كتابة هنا تُثقلف هناك عند الآخر والرواية بحسبها الجنس الأدبي الأكثر حضورا إنتاجا وتلقيا عربيا، المشهود لها ملامستها واستيعابها الحال العربي، فالمضامين التي تسرد فيها، والوصف الذي تتوخاه عن هذه الظروف يؤخذ على محمل الجد، وحصل أن أخذت المدينة العربية نصيبها الروائي؛ كيف لا وهي مركز القرارات ومنزل الصراعات ومجبط القريب والغريب. "تشكل المدينة بؤرة الحركة" ² السردية، تُصعد الحدث وقد تتلفه، إلا أن إجمالا وإجماعا أن ما رسمته وما نقلته الرواية عن المدينة العربية مع بعض الاستثناءات، كان مفعجا محزيا "لقد بدت المدينة مدينة قبور أو قبرا أسطوريا مستمرا في وظيفة الدفن عبر التاريخ" ³ وتقبيرها كان بطريقة فنية عالية منها الحشد اللغوي للألفاظ الدالة على ذلك والعمل على استثارة مشاعر القلق والخوف والشفقة لدى المتلقي / القارئ.

زيادة على التوظيف الجمالي والحكم للتشبيهات والاستعارات والكنيات، كل هذه مجتمعة زادت من حدة التعبير ورفعته إلى أقصى درجاته الفنية والإقناعية، وحتى الحكيم المتن للحدث المدني الذي كان يهلل دائما لوأدها، ما يُفضي إلى تكون القبول عند المرسل إليه درجة الاكتفاء و"يعد المكان مفتاحا من مفاتيح استراتيجية القراءة" ⁴ فيركز عليه طلبا للتأثير وبلوغ القصد، ففي هذه الفجاعة نجاعة في التلقي والتأويل؛ خاصة عندما تكون اللغة الموصوفة بها المدينة على قدر عال من الشعرية والمناسبة للمقام السردية، فالروائي "يتخذ من اللغة الركن الأساس لتلمس هذه التغيرات" ⁵ والتناقضات لإدراك الفجوة داخل فضاء مدينته السردية، فالبنان اللغوي المتتابع وعلى نفس النفس والوتيرة سبيلا للتأثير.

وشاع في الرواية العربية المعاصرة "تعوير المدينة العربية ورميها بما ترمي به العاهرة، اتخذ في المدونة الروائية العربية ما يشبه الفكرة المتواترة/الثيمة/الكليشة أو العنوان العريض لواقع المدينة العربية المعاصرة، وفي طليعتها القاهرة" ⁶ وبيروت وغيرها من المدن الموصدة التي فتحتها بل وشرحها السرد الروائي، فتقبيح المدن أضحي عادة روائية عربية، بالكاد ينصرف عنها أحد ويعلل هذا التوجه "لغايات عديدة يتصدرها مقدار بارز من محاولات استرضاء القارئ الغربي" ⁷ وجذب أنظاره بتنوع مظاهر ومصادر دناءة مدنها التي مكنت لفقد بعض إنسانيتها، وتيهان إنسانها القاطن بها. والروائي العربي جعل من مدينته رمزا وكهفا تمارس فيه كل صنوف الرذيلة الأخلاقية والسياسية وما والاها، تفيض كل أزقتها بالفواحش، أي ذلك إثارة؟ أم أنها إثارة حقيقية لجوانب خفية في مدنها كان يطبق عليها الصمت، ويحظر الحديث عنها، فبات لزاما اقتحامها وإخراجها عنوة، والرواية "الفن السردية القادر على تمثيل التوترات القابعة في صلب مجتمعا" ⁸ ونقلها بواسطة بنيتها، وجالياتها الفنية تمنحها الضوء الأخضر للتسيّد على عرش المتلقي، مقابل هذا التقيح المدني في الرواية تندس أحيانا تسريبات جمالية لها، تصل إلى حد التغني بها وبطولاتها بغاية البتر المؤقت لسلسلة الهم، هذا التوظيف قليل الحدوث لكنه موجود؛ ونستدل على ذلك برواية "ذاكرة الجسد" التي أضاءت قسنطينة لغير القسنطيني، فعزفت بمدينة الجسور خارج الحدود وأمكنا إطلاق مصطلح "السرد السياحي" على بعض مقاطع الرواية.

2- السرد السياحي للمدينة "قسنطينة" في "ذاكرة الجسد" بين الترويج الذاتي والخيار السردية.

لقد "تأثرت المدينة - على مستوى ما - بصعود الرواية وازدهارها، وانتشارها بين جمهور واسع" ⁹ محلي وغير محلي، وأصبحت أساء المدن ومعالمها وهواجسها على لسان القراء، ومن منا لا يعرف القاهرة نجيب محفوظ، وما إلى ذلك، ولم يقتصر الشأن على العواصم الكبرى العربية بل تعداه إلى المدن الصغيرة أو الضواحي، وفي "ذاكرة الجسد" خروج عن المؤلف المدني كانت قسنطينة حبسية خالدا مثلما كانت "حياة"، فوفت "مستغاني" بعشقها لمدينتها، بثت هذا الإخلاص وثبته تشخيصا في شخصية "خالد، الذي جعلته مسكونا بها رسما وإبداعا لغويا مثلما هي مسكونة

حد الجنون بقسنطينة، وعهدناها تصرح بذلك كلما أتاحت لها فرصة الحديث عنها، هذا الترابط والميثاق الواقعي الحقيقي لأحلام مستغاني بمدينة حولته إلى ميثاق سردي تخيلي أو " تذويت المكان " تبعا لذات الكاتبة، يقول خالد " كنت أريد أن أرضي قسنطينة حجرا.. حجرا ، جسرا جسرا .. حيا حيا " ¹⁰.

ولم ترد الصور القبيحة لقسنطينة بكثافة، موجودة لكن باحتشام، وكلما ذكرت ووردت صورة قبيحة لقسنطينة تقابلها جمالية، أي تم العمل سرديا على مقابلة القبح بالحسن، واللغة كشفت هذا التقابل وقادت مضمار التضاد " إنها الوصفة المثالية لكي ينتحر المرء أو يصبح مجنونا " ¹¹، كما هو مجنون بها " خالد "، وبعيد ولوح الأخير " خالد " أرض قسنطينة بدأ التسويق والترويج لها في الرواية عبر تقانات سردية مختلفة، بعدما كان الخطاب حولها قبلاً غامضاً، متشظياً، ملغزاً، بنية التشويق وربط القارئ ؛ ورميه في عملية تأويل خاصة لهذه المدينة.

3- آليات الترويج السياحي السردية لـ " قسنطينة " في " ذاكرة الجسد ".

3-1- " قسنطينة " المدينة اللغز:

في الفصلين الأولين من الرواية يندر تقديم وصف لقسنطينة وحين يُؤقَى على ذكرها يكون على شكل تلميح وإشارات عابرة خاطفة، كأن بـ " أحلام مستغاني " تبطئ وتترث في الكشف عن صورة مدينتها، هذا التأخير الوصفي مبرر لعل كسب أفق انتظار القارئ ومنحه مدة أطول للتوقع وتكوين صورة ما عن " قسنطينة "، تلك خطة سردية أولية من الروائية تخص المكان " المدينة " بلجوئها لتقنية الومض والغموض السردية المكاني الذي أنتج " تلغيزا لقسنطينة " أو المدينة اللغز، هذا اللغز أرجأت الكاتبة وعبر شخصية " خالد " حله إلى الفصول الأخيرة من الرواية، ويدلي " خالد " عن قسنطينة غداة تأمله لوحاته ما يلي: " صباح الخير قسنطينة .. كيف أنت يا جسري المعلق .. يا حزني المعلق منذ ربع قرن " ¹² وعلقت الروائية القارئ بوصفها قسنطينة بالجسر، لكن لم تفسح عن ما فوقه أو تحته وحتى ما وراءه فالطرف السردية الأول في اللغز المديني كان الجسر لتضيف له الطرف الثاني " فتاة المدينة " " حياة " " يوم دخلت هذه القاعة، دخلت قسنطينة معك، دخلت في طلتك ، في مشيتك .. في لهجتك .. وفي سوار كنت تلبسينه " ¹³، جمال " حياة " من جمال قسنطينة، تقرب بين المدينة والحب " حكمت عليك أن تكوني قسنطينة ما .. وكنت أحكم على نفسي بالجنون " ¹⁴ وهامي المدينة التي قادته لجنون الرسم تجره مجددا لجنون آخر أشد وقعا جنون حب ابتها، ليبقى السؤال في الرواية معلقا كجسور قسنطينة المعلقة.

- كيف هي قسنطينة؟ أي سر تكتمه وسحر تتضمنه حتى تصيب من يحبها بالجنون؟.

هذا هو الكتم السردية الذي لم تبح به الفصول الأولى من الرواية، إلى أن حملت باقي الفصول تفجيرا وتفكيكا للغز " قسنطينة ".

3-2- التصوير الفوتوغرافي / التليل السردية السياحي:

قام بطل الرواية " خالد " بعمل المرشد السياحي أثناء اطلاعه الآخر / المتلقي عن " قسنطينة " سرديا بوسيلة الوصف اللغوي " وأمر العلاقة بين المكان والسرد يتحدد أيضا بواسطة اللغة التي تقوم بالوصف وتنقل إلينا تفصيلاته وأنساقه ومعالمه الجغرافية والفيزيائية " ¹⁵ ويتجميع هذا الوصف وتتابعه يولد التصوير الفوتوغرافي السردية للمكان / المدينة، فمقدورنا تخيلا وضع صورة أو مشهد عن المدينة المسروقة المقصودة هذه الصورة قد تتقاطع مع الواقع، و" يتلازم تشخيص المكان مع التوفيق الوصفي لإنشاء الأبعاد المشهدية " ¹⁶ له، فالتشخيص الدقيق المركز لأبنية السرد والمكان إحداها، يزيح الغموض والتنعيم عن الفضاء، ويفسح الطريق للقارئ للخروج بتأويل سليم أو شبه سليم عنه، ويحكم على جماليته من قبجه، فـ " خالد " كان الناطق الرسمي والمصور " لقسنطينة " حيث دارت أحداث روائية هناك زيادة على أحداث " باريس "، وعلى نقب الفصول الأولى بأشهر البطل دون تمهل وصف مكانه تباعا، فمجموع التراكيب المنتجة شكلت متتاليات سردية سياحية، مع بعض الربط بالحبيبة " حياة " وذلك طبعيا لأن سبب الزيارة

لمناسبة تخصها، يصرح " خالد " قائلا: " تحمل اسمين مثلك ، وعدة تواريخ للميلاد، خارجة لنتوها من التاريخ باسمين واحد للتداول وآخر للتذكّار كان اسمها يوما سيرتا، القاهرة كانت، كمدينة أنثى من هنا مر صيفاكس.. ماسينيسا.. ويوغرطة .. وقبلهم آخرون تركوا في كهوفها ذكارتهم، نقشوا جبههم وخوفهم وآلهتهم تركوا تماثيلهم وأدواتهم، وصكوكهم النقدية ، أقواس نصرهم وجسورا رومانية .. ورحلوا

لم يصمد من الجسور سوى واحد، ولم يبق من أسماؤها سوى اسم " قسنطينة " الذي منحها لها منذ ستة عشر قرنا "قسنطين" أحسد ذلك الإمبراطور الروماني المغرور، الذي منح اسمه لمدينة لم تكن حبيبته بالدرجة الأولى.. وإنما اقترن بها لأسباب تاريخية.. وحدي منحتك اسما لم يكن اسمي

وربما لذلك يحدث أن أعاكس قانون المحافاة هذا، وأنادي تلك المدينة " سيرتا " لأعيدها إلى شرعيتها الأولى تماما.. كما أناديك " حياة " ¹⁷.

هذه هي المدينة / قسنطينة، اسمها، تاريخها، وما إلى ذلك، وصف وتصوير ملفوف بنسيج من اللغة الشعرية التي تفيض بالود والحنين والعتب عليها وعلى " حياة "، هذه اللغة تستنضج القارئ وتدعه يطلب المزيد منها وعن المدينة، أي إصابته بلهفة المكان السردية، خاصة بعد أن عُمد إلى تقنية الاقتطاع في الوصف أو التصوير بالتقسيط السردية، والرجوع لتوثيق شعور الذات الواصفة اتجاه هذا المكان، هذه المزوجة والتناوب بين وصف المدينة ووصف الشعور اتجاهه عمقت من شعرية السرد المدني المؤسس أصلا على جماليات اللغة " فمن كان له لغة، ومن استطاع أن يستثمر هذه اللغة فيحولها من مجرد مفردات منتورة وألفاظ معزولة إلى نسيج من القول قشيب " ¹⁸ قوي، مؤثر؛ وتتيح شعرية اللغة استبطان النفس، والولع بالمكان قراءة، والمقطع التالي يؤكد ذلك: " هاهي مدينة تترصد بكل فاتح .. تلف نفسها بملاءتها السوداء وتخفي سرها عن كل سائح تحرسها الوهاد العميقة من كل جانب، تحرسها كهوفها السرية وأكثر من ولي صالح، تبعثرت أضرحتهم على المنعرجات الخضراء تحت الجسور هنا القنطرة.. أقرب جسر لبيتي ولذاكرتي، أعبرها تلقائيا وكأني أرسما، مشيا على الأقدام، بين الدوار المبهم والتذكّار وكأني أعبر حياقي أجتاز العمر من طرف إلى آخر " ¹⁹ هذا الوصف وغيره إعلان صريح عن ترويج سياحي لقسنطينة ومعالمها، ودعوة مباشرة غير رسمية لزيارتها والتعرف عليها وعلى جسورها.

3-3- السياحة السردية التاريخية / شعرية التاريخ القسنطيني المحكي.

إذا كان للجسور والعمران والطبيعة نصيبها السردية في " ذاكرة الجسد " فإن تاريخ المدينة كان حاضرا، فلا مدينة بدون تاريخ، وعراقلة المدينة بتاريخها يوشحها بالتفرد، فحكي الماضي وما ختمه من انتصارات أتى السارد على ذكره، واستمر توظيف ألفاظ بعينها أثناء التطرق للمكان (هنا، هاهي، هذه ..) التي تفيد الحماسة والترويج والفخامة عن المكان لرفعه " هنا أضرحة الرومان .. والوندال .. والبيزنطيين .. والفاطميين .. والحفصيين .. والعثمانيين .. وواحد وأربعين بايا تناوبوا عليها قبل أن تسقط في يد الفرنسيين

هنا وقفت جيوش فرنسا سبع سنوات بأكملها على أبواب قسنطينة، فرنسا التي دخلت الجزائر سنة 1830 لم تفتح هذه المدينة الجالسة على صخرة، إلا سنة 1837، سالكة ممر جبليا تركت فيه نصف جيشها وتركت فيه قسنطينة خيرة رجالها... " ²⁰ هو تاريخ التعاقب على قسنطينة وصولا للمستعمر الفرنسي الذي نهش المدينة وفتك بسكانها ونكل بثوارها، بعد أن أودعهم سجن ليس ككل السجون، سجن أضفى اليوم معلما تاريخيا، إنه سجن " الكديا " الذي جابت أرجاء الرواية في سرد كله غر وحزن، وفرح وألم، هو رمز قسنطيني ، رمز للعناد والشجاعة ولرجال شهداء دخلوا التاريخ " ها هو ذا سجن (الكديا).. كم من قصص مؤلمة، وأخرى مدهشة عرفها هذا السجن، الذي تناوب عليه أكثر من ثائر، لأكثر من ثورة سنة 1955.. أي عشر سنوات بالضبط بعد أحداث 08 ماي 1945، عاد هذا السجن للصدارة، بدفعة جديدة لسجناء استثنائيين كانت فرنسا تعد لهم عقابا استثنائيا

في الزنزارة رقم 8 .. المدة لانتظار الموت. كان ثلاثون من قادة الثورة ورجالها الأوائل، ينتظرون موثقين، تنفيذ حكم بالإعدام عليهم بينهم مصطفى بن بولعيد والطاهر الزيري ومحمد لايفا وإبراهيم الطيب رفيق ديدوش مراد وباجي مختار وآخرون... يوم 10 نوفمبر 1955 بعد صلاة المغرب وبين الساعة السابعة والثامنة مساءً بالتحديد كان مصطفى بن بولعيد ومعه عشرة آخرون من رفاقه، قد هربوا من الكديا وقاموا بأغرب عملية هروب من زنزارة لم يغادروا أحد ذلك اليوم .. سوى إلى المقصلة²¹ وكما جرت العادة السردية في " ذاكرة الجسد " رافق وصف المكان " الكديا " وصف شعوري نفسي أيضا، يقول خالد " كلما وقفت أمام الجدران العالية لهذا السجن تبعثرت ذاكرتي، وذهبت لأكثر من وجه لأكثر من اسم، ولأكثر من جلد، وشعرت برغبة في فتح أبواب سجون أخرى "22.

كان سجن " الكديا " معلما سرديا ومزارا لشخصية " خالد " الذي أتقنت الروائية تطوير لغته كي تطابق المقام الجلل والرهبنة التي يجوزها السجن الثوري، فغاب التخيل وحضرت الوقائع الموصوفة، خاصة وأن الوصف في الرواية " أصبح معيارا لقياس درجة سمك وعمق إدراك الشخصيات "23 بدواخلها النفسية اتجاه المكان، وذلك التفاعل الحاصل بينها يعبر تلقائيا للمتلقي.

4-3- جماليات التراث القسنطيني / العادات والتقاليد.

احتفت " ذاكرة الجسد " بعادات وتقاليد قسنطينية، وضعتها تحت المجهر السردية، أفاضت في تعدادها، وعادات الأفراح خاصة من جانب العروس، كذهاها للحمام وما يصحب هذا الذهاب من ترتيبات تُدرج ضمن التقاليد، والحببة القسنطينية كانت موجودة، كيف لا و" أحلام مستغانمي " معروف ومشاهد عليها إعجابها بها ولبسها لها، فيقول خالد " ثوبك المطرز بخيوط الذهب والمرشوش بالصكوك الذهبية معلقة شعر كتبها قسنطينية جيلا بعد آخر على القطيفة العنابي وحزام الذهب الذي يشد خصرك "24 ولاشتغال على هذه الجزئيات التراثية في الرواية، يزيد من التنوع والتفريع السردية لها، وتقديم المزيد من الثراء السياحي المتعلق بالتراث المادي واللامادي للفت الانتباه وزيادة عدد العشاق للمدينة، وإلى جانب اللباس القسنطيني أُشير إلى الخلخال والحناء " أشعر أنك تمشين على جسدي، ليس بالريحية وإنما بقدميك المخضبتين بالحناء .. وأن خلخالك الذهبي يدق داخلي، ويعبرني جرسا يوقظ الذاكرة "25 فكل التحضيرات الخاصة بالعروس القسنطينية كانت محل اهتمام الرواية، وحتى أغاني " الفرقاني " أدرجت ضمن زخم التراث.

4-4- سرد أعلام من قسنطينة.

أنجبت قسنطينة رجالا ثورين ومصلحين وأدباء، حالها حال بقية ربوع الجزائر؛ أثاروا أرضها، كانوا ومازالوا على مر السنين أيقونات لها وعلامات فارقة فيها، رجعت إليهم الرواية لتعدهم وتنوع بهم سردها السياحي وتضاعف من جمال المدينة، فجبال الطبيعة قد لا يوفي إلا عندما يترافق مع جمال الأفعال الصادرة من شخصيات ذو توجهات مختلفة، رغم أن فضاء الرواية " فضاء لفظي "26 واستهلكت الروائية أعلام قسنطينة بالأديب " مالك حداد " الذي خصته بإهداء ونسبته لمدينتها " إلى مالك حداد.. ابن قسنطينة الذي أقسم بعد استقلال الجزائر ألا يكتب بلغة ليست لغته "27 وعلم آخر مفخرة العرب والجزائريين قسنطيني المولد والنشأة، إنه العلامة " عبد الحميد ابن باديس "، حاول " خالد " أن يوفيه حقه من المدح والثناء وإظهار مناقبه للذي لا يعرفه " لا يمكن أن تنتهي لهذه المدينة، دون أن تحمل عروبته العروبة هنا .. زهو ووجاهة وقرون من التحدي والعنفوان مازالت كلمة (ابن باديس) وكلمته تحكم هذه المدينة حتى بعد موته مازال يتأملنا في صورته الشهيرة تلك، ملتصحا وقاره، متكنا على يده يفكر في ما ألنا إليه بعده ومازال صرخته التاريخية تلك بعد نصف قرن النشيد غير الرسمي الوحيد الذي نحفظه جميعا

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب

أو رام إدماجا له رام الحال من الطلب

صدقت نبوءتك لنا يا بن باديس.. لم تمت

فقط ماتت شهيدتنا للحياة ، فماذا فعل أيها العالم الفاضل ... كان لكلماته قدرة خارقة على توحيدنا اكتشفنا مصادفة هناك صوتنا الواحد "28، وتواترت أساء وأساء في هذه الرواية، كان مرورهم بالمدينة ذا أهمية بالغة، فآثروا في تاريخ المدينة والمدينة أيضا أثرت فيهم وثر بهم، منهم اسماعيل شعلال، عبد الكريم بن وطاف ، مصالي الحاج ، بلال حسين وغيرهم ممن تفاخرت بهم الروائية وألبسوا قسنطينة وهجا آخر غير وهج الحضارة، أرادت " أحلام مستغاني " أن تقول هذه قسنطينة للذي يعرفها والذي لا يعرفها متفردة متميزة، وبين الفنية والأخرى تنفطن إلى ذلك الخط السردى المادح، تحاول العدول عنه، فترمي بمواطن القبح كند للحسن الذي وقع فيه إسراف في، ويمكن عد ذلك تقنية استدراكية؛ حتى لا تتورط في ذاتية المكان " قسنطينة "، هاهو خالد يبرر ذلك الاتجاه الذاتي " أترأه عشق هذا الوطن .. أم البعد عنه، هو الذي أعطى الأشياء العادية قداسة لا يشعر بها غير الذي حرم منه؟ ... وحدي أعاملها كمدينة فوق العادة أعامل كل حجر فيها بعشق. أسلم على جسورها جسرا جسرا ... أتأملها وهي تمشي ... ولا أحد يفهم جنوبي وسر تعلقي بمدينة يحلم الجميع بالهرب منها، هل أعتب عليهم ؟"29.

خاتمة.

بما أن الرواية اليوم هي سرد العصر بلا منازع، تعلني من شأن تيمات، تسمو بإمكانة وتذل أخرى، لا يختلف دورها عن السينما وكل مظاهر الصورة، بمقدور الرواية أن تسترجع زمنا غابرا وأده التاريخ، وتظهره تخييليا لا يخلو من لفحات واقعية، والفعل ذاته تطبقه على المكان، وهي الموسومة بقوة التشخيص والتصوير، تروج لمدن وتهدم أخرى، تبعا لدوافع موضوعية وحتى ذاتية تخص السارد، أو محيط المدينة الذي يفرض الحسن من اللؤم. في " ذاكرة الجسد " الرواية الذائعة الصيت، صيت أذاع معه صيتنا " لقسنطينة "، فغدت المدينة العربية التي يشار لها بجسورها وشهدائها وعلماؤها، ألهمت القارئ العربي وحتى الغربي، فـ " أحلام مستغاني " عملت ترويجا سياحيا لمدينتها، وكانت الرواية أشبه بالدليل السياحي الذي تنجزه المؤسسات السياحية المختصة في التسويق السياحي، غير أنه ترويج سردي بأبنيتها وتفصيلاته، وعن الترويج السياحي لقسنطينة في ثنايا الرواية تقدم نقاطا كخاتمة لورقنا البحثية هذه..

- شاع في السرد الروائي العربي تقييح المدن العربية وتجميل صورة نظيرتها الغربية، تم قذفها بكل الصفات الرديئة، ليلتقي السرد بالوصف وتكمل صورة القبح المكاني للمدينة.

- كان لهذا الإنزال السردى الخاص بالمدينة فعاليته على المتلقي، إذ أمكننا القول أنه منح النجاعة الروائية للقبض على القارئ، وكان إحدى المنافذ البنائية الهامة لتواتر السرد.

- فضح التصوير المديني سلبيا كان أو إيجابيا الرواية / السارد وخلفيته في تركيب صورة مدينته السردية، والتي قد تحدد ذاتيته وعلاقتها بالمكان بالتوافق أو التنافر معه.

- غردت " ذاكرة الجسد " خارج سرب السرد الروائي بالجماليات التي منحها للمكان / المدينة / قسنطينة، فعددت مناقبها الحضارية وخصالها التاريخية، تغزلت بجمالها الطبيعي، وبجمال كنانها وثوارها وعلماؤها، أجلت موروثها الثقافي من تراث وعادات وتقاليد، أرادت من كل هذا أن تقول هلموا لقسنطينة العريقة.

- شكل الفصلان الأخيران من الرواية دليلا سياحيا سرديا عن قسنطينة، وقدمت شخصية " خالد " المدينة للقارئ وكأن به مرشد سياحي، حيث تم شحن خطابه بدقة وشعرية الاختيارات اللفظية وطريقته التعريفية لهذه المدينة.

- طغى في الرواية خطاب الذات عند التوصيف للمدينة، حيث لم تتأن الكاتبة في الإشادة بمدينتها السردية / الواقعية، فقدمت معروفا لها - قسنطينة - وأرضت ذاتها الهائمة بها.

- يصلح السرد الروائي أن يكون أداة ووسيلة لجذب السياح، كما تفعل المؤسسات المختصة في المجال السياحي الترويجي.

الإحالات والهوامش:

- 1- محبوبة محمد محمد محمد آبادي : جاليات المكان في قصص سعيد حورانية ، د ط ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، سوريا ، 2011 ، ص 32.
- 2- إبراهيم جنداري : الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا ، ط 1 ، تموز طباعة نشر توزيع ، 2013 ، ص 218.
- 3- صلاح صالح : المدينة الضحلة تثرّب المدينة في الرواية العربية ، د ط ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، وزارة الثقافة ، دمشق ، سوريا ، 2014 ، ص 79.
- 4 - مهدي عبّيد : جاليات المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية بخار - الدقل - المرفأ السعيد) ، د ط ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، سوريا ، 2011 ، ص 26.
- 5- محمد بريدة : الرواية العربية ورهان التجديد ، ط 1 ، دار الصدى ، 2011 ، ص 54.
- 6- صلاح صالح : المدينة الضحلة تثرّب المدينة في الرواية العربية ، ص 218.
- 7- المرجع نفسه : ص 87.
- 8- عبد الله إبراهيم : المحاورات السردية ، ط 1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، 2012 ، ص 218.
- 9 - حسين حمودة : الرواية والمدينة ، نماذج من كتاب الستينات في مصر ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، مصر ، 2000 ، ص 23.
- 10- أحلام مستغاني : ذاكرة الجسد ، ط 15 ، دار الآداب ، بيروت ، لبنان ، 2000 ، ص 191.
- المصدر نفسه : ص 130.
- 12 - المصدر نفسه : ص 79.
- 13 - المصدر نفسه : ص 117.
- 14 - المصدر نفسه : ص 119.
- 15 - محمد مصطفى علي حسانين : استعادة المكان (دراسة في آليات السرد والتأويل) رواية السفينة لجبرا إبراهيم جبرا أمودجا ، ص 11.
- 16 - المرجع نفسه : ص 25.
- 17 - أحلام مستغاني : ذاكرة الجسد ، ص 290 ، 291.
- 18 - عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السرد ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1990 ، ص 40.
- 19 - أحلام مستغاني : ذاكرة الجسد ، ص 292.
- 20 - المصدر نفسه : ص 292.
- 21 - المصدر نفسه : ص 323.
- 22 - المصدر نفسه : ص 324.
- 23 - عبد اللطيف محفوظ : وظيفة الوصف في الرواية ، ط 1 ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، 2009 ، ص 13.
- 24 - أحلام مستغاني : ذاكرة الجسد ، ص 360.
- 25 - المصدر نفسه : ص 360.
- 26 - محمد بوعزة : تحليل النص السردي وتقنيات ومفاهيم ، ط 1 ، دار الأمان ، الرباط ، المغرب ، 2010 ، ص 99.
- 27 - أحلام مستغاني : ذاكرة الجسد ، ص 05.
- 28 - المصدر نفسه : ص 318 ، 319.
- 29 - المصدر نفسه : ص 36.

مراجع البحث:

المصدر:

أحلام مستغاني: ذاكرة الجسد ، ط 15 ، دار الآداب ، بيروت ، لبنان ، 2000

المراجع:

- 1- إبراهيم جنداري : الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا ، ط 1 ، تموز طباعة نشر توزع ، 2013 .
- 2- حسين حمودة : الرواية والمدينة ، نماذج من كتاب الستينات في مصر ، الهيئة العامة لتصور الثقافة ، مصر ، 2000 .
- 3- صلاح صالح : المدينة الضحلة تترتب المدينة في الرواية العربية ، د ط ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، وزارة الثقافة ، دمشق ، سوريا ، 2014 .
- 4- عبد اللطيف محفوظ : وظيفة الوصف في الرواية ، ط 1 ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، 2009 .
- 5- عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السرد ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1990 .
- 6- محبوبة محمدي محمد آبادي : جاليات المكان في قصص سعيد حورانية ، د ط ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، سوريا ، 2011 .
- 7- محمد برادة : الرواية العربية ورهان التجديد ، ط 1 ، دار الصدى ، 2011 .
- 8- محمد بوعزة : تحليل النص السردى تقنيات ومفاهيم ، ط 1 ، دار الأمان ، الرباط ، المغرب ، 2010 .
- 9- محمد مصطفى علي حسانين: استعادة المكان (دراسة في آليات السرد والتأويل) رواية السفينة لجبرا إبراهيم جبرا أنموذجا .
- 10- مهدي عبيد : جاليات المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية بحار – الدقل – المرفأ السعيد) ، د ط ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، سوريا ، 2011 .
- 11- عبد الله إبراهيم : المحاورات السردية ، ط 1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، 2012 .